في التاريخ السياسي :

الحرب الأهلية الاسبانية

وخطرها على السلام

بقلم باحث دبلوماسي كبير

حينما اضطرمت الحرب الأهلية الاسبانية في أواخر يولية الماضي ، لمحنا في حوادثها منذ البداية عوامل معركة دولية خطيرة وكنا يومئذ نتلمس القرائن والأدلة لتأييد هذا الرأي ، لأن العوامل الدولية التي كانت وراء هذه المأساة لم تكن قد وضحت بعد بصورة جلية ، بيد أنه لم تمض عدة أسابيع على ذلك ، حتى تكشفت هذه العوامل واضحة ، وحتى بدا أصبع إيطاليا وألمانيا ظاهراً وراء الثورة الاسبانية يذكي ضرامها ويمدها بكل صنوف المعاونة العسكرية والسياسية ، وحتى بدت روسيا السوفيتية في جهة أخرى وراء الجبهة الجمهورية الاسبانية تؤيدها بكل ما وسعت وتمدها بالأسلحة والذخائر والفنيين ، وحتى بدت انكلترا وفرنسا أيضا من وراء الجبهة الجمهورية تمدها بعونها السياسي والأدبي . وآثرت انجلترا وفرنسا الأخذ بسياسة عدم التدخل في المشكلة الاسبانية ونجحتا في حمل الدول الأخرى أعني ايطاليا والمانيا وروسيا والبرتغال على إقرار هذه السياسة ، وتألفت لجنة عدم التدخل الدولية في لندن . وبينما كانت هذه اللجنة تسير في مباحثها وقراراتها ببطء وتسويف ظاهرين كانت المعركة الدولية في اسبانيا تتفاقم يوما بعد يوم ويتوالى نزول القوات الايطالية والالمانية في الثغور الاسبانية لتشد أزر الجبهة الثورية ، وتتوالى الامدادات الروسية لتشد أزر الجبهة الجمهورية ويتسع تدخل ايطاليا والمانيا في اسبانيا نفسها ، وفي جزر البليار ومراكش الاسبانية بشكل يزعج فرنسا وانكلترا . عندئذ خطت السياسة البريطانية خطوة أخرى واستطاعت بعد مفاوضات ومباحثات طويلة أن تحمل الدول الممثلة في لجنة عدم التدخل على إقرار مشروع دولي لرقابة الشواطىء والحدود الاسبانية وذلك لمنع الامدادات الأجنبية عن الفريقين المتحاربين ، وتطبيق سياسة عدم التدخل بطريقة فعلية ، وترك المشكلة الاسبانية يحلها الشعب الاسباني وحده ، وبذلك تحصر الحرب في اسبانيا ، ويحمى السلام الدولي من عواقبها .

ونفذ مشروع الرقابة الدولية منذ عدة أسابيع . واشتركت فيه انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا والبرتغال ، وحصرت الشواطىء والحدود الاسبانية على يد السفن الدولية والمراقبين الدوليين . ولكن الواقع أن إيطاليا والمانيا كانتا قد بعثتا إلى اسبانيا قبل تنفيذ مشروع الرقابة من القوات العسكرية والجوية ـ لمعاونة الجنرال فرانكو زعيم الثورة الاسبانية ما اعتقدتا أنه كاف لاحراز الجبهة الثائرة النصر النهائي على الجمهوريين وإقامة الحكم الفاشستي المنشود في اسبانيا على أنقاض الحكم الجمهوري ، بل ظهر أن إيطاليا وألمانيا لم تكفا عن إرسال الامداد حتى بعد أن نفذ مشروع الرقابة ، على أن الرقابة الدولية أفادت في تضييق نطاق المعاونات الخارجية ، وحصرت احتمالات الحرب الأهلية نوعا .

وفي أثناء ذلك حاولت السياسة البريطانية أن تتقدم خطوة جديدة في تصفية المشكلة الاسبانية ، فقدمت إلى الدول اقتراحها بسحب جميع الجنود الأجانب من اسبانيا سواء منهم من يحارب مع الجنرال فرانكو أو مع حكومة مدريد ؛ فرفضت إيطاليا النظر في الاقتراح ، وأجابت الصحف الايطالية بأن الجنود الايطالية لن تغادر اسبانيا قبل أن يحرز الجنرال فرانكو النصر النهائي . والمعروف المحقق أن لايطاليا في اسبانيا جيشاً لايقل عن مائة وعشرين ألف مقاتل ، هذا عدا القوات الالمانية وهي تقدر بنحو ثلاثين ألفاً ، وهذه القوى الأجنبية هي عصب الثورة الاسبانية وهي سند الجنرال فرانكو ؛ وقد أبدت المانيا وايطاليا في غير فرصة سواء في التصريحات الرسمية أو عن طريق الصحافة انها لن تدخر وسعاً في تأييد الجنرال فرانكو حتى يحرز النصر النهائي ، وحتى تقوم في مدريد حكومة فاشستية ، ولم يبق ريب بعد أن الثورة الاسبانية إنما

هى محاولة عسكرية فاشستية تدبرها الفاشستية الايطالية والألمانية ، وأن الجنرال فرانكو إنما هو أداة هذه السياسة الأجنبية ؛ فالثورة الاسبانية تفقد بذلك كثيراً من صبغتها الوطنية ، وتفقد عطف الديموقراطية ، والعالم المتمدن الذى يعرف وسائل الفاشستية وأساليبها الهمجية وجنوحها إلى العنف والعدوان ، ويقدر خطرها على السلام العام

ولكن هل تنجح الفاشستية فى هذه المحاولة الدموية ؟ لقد مضى على الثورة الاسبانية التى دبرتها الفاشستية وسلحتها أحد عشر شهراً ، واستطاع الجنرال فرانكو بمؤازرة معاونيه الأجانب أن يستولوا على نصف الأراضى الاسبانية ؛ ولكنه لم يحرز حتى اليوم أى نصر حاسم ، بل فشل فى كل محاولة خطيرة قام بها لتحطيم قوى الجمهورية ، وكان مقدراً أن الثورة لن تستغرق فى تنفيذ برنامجها أكثر من عدة أسابيع ، ولكن مضت الأسابيع والأشهر ، وتحطم هجوم الجنرال فرانكو على مدريد ولقى الثوار أكثر من هزيمة شديدة أمام العاصمة ومزقت الوحدات الايطالية فى وادى الحجارة شر ممزق ؛ وعندئذ فكر الحلفاء فى مهاجمة ناحية أخرى من الجبهة الجمهورية ، فنظم فرانكو هجومه على بلاد الباسك منذ أكثر من شهرين ، وحاول أن يطوقها من البر والبحر ؛ ولكن قوات الباسك خيبت آمال الهاجمين ، وردتهم غير مرة ، وانتقم فرانكو وحلفاؤه من الجمهورية الصغيرة الباسلة بتخريب بلادها وضياعها ، وأحرق الطيارون الألمان المدن والقرى الباسكية من الجو بطريقة وندالية أثارت سخط العالم المتمدن وكان فرانكو يقدر أنه بحصار بلباو من البحر يمهد لافتتاحها بسرعة وأنه كما حدث من الهجوم على مالطة يستطيع الاعتماد على معاونة الغواصات الايطالية ، ولكن انجلترا التى خشيت على مصالحها ومناجمها العظيمة فى هذه المنطقة بعثت بوارجها الكبرى إلى مياه بلباو ، وأنكرت حق حكومة فرانكو فى محاصرتها وخرقت السفن الانكليزية الحصار وأمدت المدينة المحصورة بالأطعمة ، وعاونت على إخلائها من غير المحاربين ؛ ومازالت قوات الباسك تصمد للهاجمين وتكبدهم أفدح الخسائر ، وان كان فى الانباء الأخيرة ما يدل على أن بلباو قد لا تستطيع المقاومة طويلا

* * *

قلنا إن الفاشستية الايطالية تزعم أنها لن تتخلى عن الجنرال فرانكو حتى يحرز النصر النهائى ، وتزعم إيطاليا وألمانيا معاً أنهما لن تسمحا ، باقامة حكومة بلشفية فى اسبانيا تهدد سلام غرب أوربا ؛ وهما تصفان حكومة اسبانيا الجمهورية بالحكومة البلشفية لأنها تستمد العون من حكومة موسكو ، وتلك دعاية مغرضة كما أسلفنا فى فرص سابقة ، فالجبهة الاسبانية الجمهورية هى جبهة الشعب الاسبانى التى تحاول الفاشستية تحطيمها على يد الجنرال فرانكو ، وإذا كان فى الجبهة الجمهورية عنصر شيوعى فهو أقلية سياسية ، كما هو الشأن فى معظم الدول الديموقراطية ؛ وإذا كانت الجبهة الجمهورية تعتمد على مؤازرة روسيا السوفيتية ، فلأنها الدولة الوحيدة التى سارعت لنجدتها فى محنتها ، ولأن روسيا ليست لها مطامع استعمارية فى اسبانيا بل يحدوها إلى هذا العون معركة المبادىء والمثل ، فهى فى أسبانيا تضرب الفاشستية ألد وأخطر خصومها على أنه إذا كانت الفاشستية ترعم أنها لن تتخلى عن فرانكو حتى يحرز النصر النهائى ، فان السياسة البريطانية من جهة أخرى تبدى صراحة أنها لن تسمح بانتهاك استقلال اسبانيا أو الاعتداء على سلامة أراضيها ؛ وهذا ما صرح به أخيراً مستر أيدن وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم ، ومعنى ذلك أن بريطانيا لن تسمح بفوز الجنرال فرانكو ، لأن هذا الفوز الذى تدعمه الحراب الأجنبية يعقبه تحقيق بعض المطامع الايطالية فى جزر البليار وربما فى مراكش الاسبانية ؛ وانكلترا مع تمسكها بسياسة الحيدة وعدم التدخل فى المسألة الاسبانية ، لا تخفى عطفها على حكومة بلنسية ، وفى ذلك توازرها فرنسا بل ربما ذهبت فرنسا إلى أكثر من هذا العطف فى معاونة الجبهة الجمهورية ، وإذا كانت انكلترا وفرنسا تقفان فى الميدان الدولى إلى جانب أسبانيا الجمهورية ، فان ذلك لا يرجع إلى لونهما الديموقراطى ولا إلى معركة المبادىء فقط ، بل يرجع

بالأخص إلى خوفهما من علة الفاشستية فى أسبانيا ، وما تهدد به مصالحهما الاستعمارية ومواصلاتهما فى غرب البحر الأبيض المتوسط .

ومن جهة أخرى فان انكلترا وفرنسا تخشيان على مصير السلام من تفاقم الحوادث الاسبانية . ولقد تجلى هذا الحرص على السلام فى حادث البارجة الألمانية دويتشلاند ، فقد القت طيارات حكومة بلنسية القنابل على هذه البارجة أثناء رسوها فى ميناء أبيزا بجزيرة ميورقة فقتلت من بحارتها خمسة وعشرين وجرحت عدداً آخر ؛ وثارت المانيا لهذا الاعتداء فلم يمض يومان حتى ضربت بوارجها ثغر ألمرية الاسبانى على حين فجأة ضرباً شديداً فقتلت وجرحت من أهلها المسالمين مئات وخربت قسما كبيراً منها ؛ وعلى أثر ذلك أعلنت المانيا وإيطاليا انسحابهما من لجنة عدم التدخل حتى توضع الضمانات الكفيلة بحماية بوارجهما ، وكان لهذا الاعتداء الذى يشبه أعمال القرصنة من جانب البوارج الألمانية وقع عميق فى الأوساط الدولية ، لأنه حتى مع التسليم بأن المانيا قد اعتدى عليها فى حادث البارجة دويتشلاند ، فانها لم تتقدم بطلب الترضية الودية ولم تقدم إلى حكومة بلنسية إنذارا بما كما يقضى بذلك القانون الدولى ، ولم يسبق فى قانون الأمم ان اعترف بحق الانتقام من المدن الآمنة دون أن تكون هناك حرب شرعية بين الخصوم . خصوصاً إذا وقع الانتقام على النساء والأطفال كما حدث فى ضرب المرية . ومن الغريب أن تنفرد المانيا بمثل هذا التصرف لاعتداء وقع على إحدى سفنها تبرره حكومة بلنسية بوجود هذه السفينة فى إحدى الموانى التى يد خصومها الوطنيين ، مع أن مثل هذا الاعتداء قد وقع من قبل فى أكثر من فرصة على السفن الانكليزية ولم تندفع فى مثل هذا الانتقام الوحشى

على أن انجلترا رأت مع ذلك أن تتفادى عواقب هذا المشكل الخطر ، وأن تعمل على رد المانيا وايطاليا إلى لجنة عدم التدخل ، فوضعت مشروعاً جديداً يقضى بتعيين مناطق أمينة تستطيع السفن المشتركة فى المراقبة أن تلجأ إليها ويحترمها الفريقان المتحاربان ، ويعترف المشروع فوق ذلك بحق الدفاع الشرعى للسفن التى يعتدى عليها وقت الاعتداء فقط ، ولكن الاجراءات اللاحقة تكون موضع بحث بين الدول ، وتدل الأنباء الأخيرة على أن المانيا وإيطاليا قبلتا هذا المشروع ، وقررتا العودة إلى لجنة عدم التدخل ، وبذلك تكون السياسة الانكليزية قد استطاعت أن تتفادى عواقب هذا الاحتكاك الخطر بين المانيا وحكومة بلنسية .

على أن المأساة الاسبانية ما زالت مفعمة بالأخطار والمفاجآت . والخطر فى هذه المأساة هى صبغتها الدولية ، التى أشرنا إليها . فالصراع الدولى بين الجبهتين الاوربيتين الفاشستية والديموقراطية مازال قائماً ، وإذا لم تبذل الدبلوماسية الأوربية جهوداً جدية لإخراج القوات الأجنبية من اسبانيا ، وترك اسبانيا تقرر مصيرها بيدها ، فسوف تبقى المشكلة الاسبانية خطراً دائما على السلم الأوربى .

***

علم التاريخ

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع الرسالة السابعة من خلاصة العلم الحديث وموضوعها « علم التاريخ » ، وهى تبحث فى التاريخ من حيث هو علم ، وفى أغراضه وطرائقه وتاريخه من أقدم العصور وفوائده وعلاقته بغيره من العلوم ، وضعها بالانجليزية الأستاذ هَرَنشو وترجمها وعلق حواشيها وأضاف إليها فصلا فى التاريخ عند العرب .

وثمن الكتاب ٨ قروش صاغ عدا أجرة البريد
ويطلب من دار اللجنة رقم ١٣ بشارع الكرداسى
ومن المكاتب الشهيرة